

# مولد الرسول عيد البشرية

« نص الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي في الاحتفال الكبير الذي أقامته جمعية الشبان المسلمين بمناسبة المولد النبوي ، وفيه أذاعت محطة الإذاعة مسرحية (مولد الرسول) تأليف فضيلة الأستاذ الشرباصي ، وقد أوفد جلالة الملك المعظم فاروق الأول إلى شهود هذا الاحتفال الكبير سكرتير جلالة المساعد الخاص سعادة أحمد بك علي يوسف » .

صلوات الله عليه ليكون زعيم طائفة ، أو سلطان دولة بذاتها ، أو قائد جيش ، ولكنه جاء سفيراً من رب الجميع لهداية الجميع :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً » .

« وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً » .  
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .  
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

\*\*\*

ومن هنا كان واجباً على كل امرئ يشعر بإنسانيته ، ويدرك خصائص بشريته ، أن يجعل مولد محمد له عيداً ، وأن يوسعه تكريماً وتمجيذاً ، فإن محمداً مفقذ الإنسان ، لأنه رسول الرحمن .

ومن ذا الذي ينكر أو يكابر ، وهذا محمد قد أقبل فكان الصباح الوليد ، يعقب الليل الطويل ، فيغمر الكون بالسناء والضياء ؟ ...

لقد أقبل محمد فوجد الدنيا بلا أخلاق ، إلهها مال يُعبد ، ومفرعها صنم أصم ، وقانونها شرعة غاب ، وطبائعها طبائع

قد يكون للمرء في حياته لحظات خالدة يراها ويهواها ، ولكن غيره من الأفراد لا يحسون بها ، ولا يشاركونه في تعظيمها .

وقد يكون للأمة الواحدة أعياد تتلقاها بالتمجيد والتكريم ، ولكن غيرها من الأمم لا تقاسمها الفرحة أو الغبطة بتلك الأعياد ...

ولا يتيسر للبشرية أن تشترك في فرحة عامة كبرى إلا في يوم يكون للإنسانية خالصاً ، وفي عيد يكون لسائر الناس منه نصيب ، وفي ذكرى ترتفع عن معاني القرب ، وحدود العصبية ، وضيق الجنسية ، وروح الحزنية ، ولا تزال ترتفع حتى تكون للدنيا سماء ، تشمل الجميع بظلالها ، وتعمهم بضيائها في سائر الأرجاء ...

ولا ريب أن ميلاد محمد العظيم عليه الصلاة والسلام كان حدثاً عالمياً ، وكان يومه فتحاً جديداً للناس أجمعين ، فقد انتفضت به الأرض الهامدة من سباتها ورقادها ، فعادت خصباً ورياً ، تجود بالأزهار والثمار ؛ وتحولت به الدنيا إلى وجهة راشدة ، فاستقامت بعد عوج ، وصلحت بعد فساد ، واعتدلت بعد طغيان ، وادكرت بعد نسيان .

واتسعت نعمة المولد النبوي حتى شملت كل راغب في الاهتداء ، وكل متطلع إلى هدى السماء . فما جاء محمد

إلا الله ، ولا يقنع دون القمة في هذه الحياة : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

\*\*\*

وها هو ذا سيدنا ومولانا محمد يعطى القدوة من نفسه في هذا الباب ، فقد كان في شجاعته مثلاً يقتدى وإماماً يحتذى ؛ وإذا كان قد قيل : إن لكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة ، ولكل فارس هفوة ، فما عُرف ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

فقد خرج بنفسه فلقى العدو ، وشارك صحابته الغزوات ، وتقدم الصفوف ، وتعرض لأشدّ المواقف زلزلة ؛ ولقد فر أحياناً من فر ، وبقي هو ثابتاً كالطود لا يتقهقر ، وما أمره إلا إقدام أو ثبات . . .

سأل رجل البراء بن عازب الصحابي المشهور : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ؛ لكن رسول الله لم يفر ، لقد رأيته على بغلته ، وأبوسفيان أخذ بلجامها ، والنبي يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ! . . .

وكان يومئذ حين فرار الناس ثابتاً ، يتلفت يمنة ويسرة ، ويقول : يا أنصار الله ، ويا أنصار رسول الله ، أنا عبد الله ورسوله ! . . .

وفزع أهل المدينة ذات ليلة لصوت خفيف سمعوه ، فانطلق بعضهم جهة الصوت ، فلقوا رسول الله راجعاً ، وهو على ظهر فرس لا سرج عليه ولا لبد ، والسيوف في عنقه ، وهو يقول لهم مهدئاً : لن تراعوا . . . لن تراعوا . . . فقد سبقهم ، وعرف جلية الأمر لهم ، وعاد إليهم مسرعاً ليطمئنهم ، وكذلك يكون شأن القائد الخالص ، الذي يقدر المسئولية ، وينهض بجلائل التبعات . . .

\*\*\*

ذئاب ؛ والمرء بلا أخلاق « سائمة » ترعى مستزيدة لنفسها من كل شيء ، جيلاً كان أو ويلاً ، نفيساً كان أو خسيساً ، والمرء بأخلاقه « إنسان » ، يحس ويشعر ، ويعطف ويتراحم ، ويعلو ويتسامى ، ويأنف من الصغيرة ، ويألف المكرمة ، ويحسن خلافة الله في الأرض .

فغرض محمد في دنيا الناس أصول الفضائل ، بعد أن طهرها من أشواك الرذائل ، وهو القائل : « خياركم أحاسنكم أخلاقاً » .

« البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء » .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

\*\*\*

والرسول الذي دعا الإنسان إلى أن يعفو عن ظلمه ، وأن يعطى من حرمه ، وأن يصل من قطعه ، وأن يكون نطقه ذكراً ، وصمته فكراً ، ونظره عبداً ، لم ينس أن الحياة حوض إذا لم يذ عنه صاحبه تهدم ، وأن العزة فريضة تتحقق بشمها من الحيلة والحذر والتضحية ، وأن المرء لا يذوق طعم الحياة الكريمة حتى يكون شجاعاً مقداماً ، لا يحرص على الحياة حرص الجبان ، ولا يفر من الجهاد فرار الرعيد ، بل يوطد أيامه على أركان من الشم والإباء ، والعزة والمضاء ، فلا يرضى الدنية في دينه أو دنياه ، ولا يبيع عرينه وذماره لمن عداه ، ولا يهدأ له بلل ، ولا يستقر به مجال ، حتى يكون كما خلقه ربه من الأحرار ، لا تخضع جبهته إلا لمولاه ، ولا يرضى بالخضوع

وكان لا يضحك إلا تبسماً ، ولا يقهقه ، ولا تبدو نواجذه في ضحكته إلا نادراً . وكان قليل الألفاظ إذا تكلم ، يختار جوامع الكلم ، ليغنى القليل عن الكثير ، حتى قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه . . .

وكان يقول : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » ويقول : « السمّ الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة » .

ورغم أناته في أعمال دنياه ، كان مجدداً في عبادته ونجواه ، وتقربه لبارئه ومولاه ، ولذلك قال : « التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة » .

\*\*\*

هذا شعاع من نور النبوة يدلّكم على الشمس الساطعة التي تعالت ومع ذلك دنت ، والتي بهرت وفي الوقت نفسه تواضعت ونفعت ، والتي جمعت بين كرم المحتد ، ونبل الخلق ، وبعد الهمة ، وأصالة الرأي ؛ فكانت للإنسانية نبراساً يهديها إلى مكارم الفعال . . .

فلم لا يكون ميلاد هذه الشمس عيداً لكل إنسان ؟ ولم لا تكون ذكراها تجديدًا لهذا الوجود ؟ .

\*\*\*

يا أتباع محمد عليه السلام :

لقد آن لكم أن تبعثكم ذكرى رسولكم ، فتنتقلوا من إيسار همودكم وجهودكم ، عمالة في الكون الواسع بعلكم وعلمكم ونضالكم ، ملائكة تمشون بين الناس بأخلاقكم ومكارمكم ، مؤمنين نافعين ، كما تستفيض في الأرجاء أشعة النور ، مسراها في مدارج الأرض ، ومنبعها من عنان السماء .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

وكان ماهراً في ضربة السيف ، كأنه حليف ميدان وطعان ، ضرب الكافر اللعين أبي بن خلف يوم أحد ضربة واحدة فوق عن فرسه ، ولم يخرج منه دم ، وكسر ضلعه ، ثم هلك . . . وكان اللعين قد توعد الرسول حين قبل فداءه في بدر فقال له : عندى فرس أعلقها كل يوم قرّفاً من ذرة أقتلك عليها . . . فأجابه الرسول واثقاً : أنا أقتلك إن شاء الله . . . وكذلك كان ! .

وقال عليّ : كنا إذا حمى البأس ، واحمرت الحدق اتقيننا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيّ ، وهو أقرب بنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . . .

وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ، ولا أنجد ، ولا أجود ، ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمران بن حصين : ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ! .

\*\*\*

والشجاعة قوة غضبية في النفس ، إذا لم تستمع إلى صوت العقل والحكمة ، أدّت إلى التهور والاضطراب ، ولا تجدى الشجاعة إلا مع الرزانة والوقار ؛ وكمن اندفاع أدى إلى خسار وبوار ، لأن الحكمة لم تقد زمامه ، ولأن التدبير لم يتولّ إحكامه .

ولقد زان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام شجاعته برزاقته وفطاقته ، حتى يرى أمته على شرعة الإنصاف والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفريط .

فمن وقاره ورزاقته أنه كان طويل الصمت والسكوت ، فهو يصمت حلماً أو حذراً أو تقديراً أو تفكيراً ، وكان يعرض عن يتكلم بغير جميل ، ليعلم المتكلم أن الرسول غير راض عن كلامه ، فيسكت أو ينتقل إلى حديث غيره ،